النهار العربي
2023-03-14

معرض ليلى جبر جرَيْديني... نسيجٌ من وحي الطّفولة

الفنانة بين منسوجاتها

تُعدّ تجربة الفنانة ليلى جبر جريديني من التجارب الواعدة في فن النسيج المعاصر، ومعرضها الذي يقام في غاليري جانين ربيز (حتى 5 نيسان/ أبريل) في عنوان Filiation "بنوّة" يثبت قدرة النسيج التقليدي على بلوغ الفكر الرياضي للعمل التجريدي، فضلاً عن رونقه وجماله. فقد استطاعت منسوجاتها المرسومة أن تُكوّن رؤية فنية في مجال النسيج التشكيلي، لسبب المستحدثات التي أجرتها على العمل النسجيّ، شكلاً ومضموناً، كما أضافت تجربتها مداخل جديدة لعلاقة النسيج مع سطح اللوحة التشكيلية الذي يتخذ صفة الـ PatchworkP.

ثمة ما هو أعمق يتعلق بسبب اندفاع ليلى لأول مرة نحو تجربة النسيج، جنباً إلى جنب مع الرسم والنحت وفن التصميم، ليأتي العنوان المثير للتساؤل في المعرض "بنوّة"، حاملاً دعوة الفنانة إلى التفكير ليس بالخيط الذي يحوك حكايات وينسجها بالدفء فحسب، بل بحبل الروابط العائلية والعلاقات التي تشكل حياتنا الشخصية وذاكرتنا عبر الزمن، والتي لا يمكن استعادتها إلا بالفن.

ليلى جبر جريديني تجريد هندسي على نسيج كليم - مصنع إيوان مكتبي - تركيا

الذّاكرة التي تروي

"دويّ وقعقعة يصمان الآذان عندما فُتحت الأبواب إلى ما بدا أنه قاعة لا نهاية لها. أمسكَ والدي بيدي ونحن ندخل في بحر من أنوال النسيج التي احتلت كل شبر من الغرفة. في السادسة من عمري، كانت الضوضاء وكأنها لم أسمعها من قبل، أو لم أسمع شيئاً مماثلاً في ذلك الحين... غطتْ يداي بشكل غريزي أذنيّ، لكنّ عينيّ كانتا مذهولتين، حتى يومنا هذا، لا تزال ذاكرة الطفولة هذه حيّة في ذهني.

بعد سنوات عديدة، اضطررتُ للعودة إلى مصنع عائلتي "شركة الغزل والنسيج الصناعية" المغلقة الآن، وإعادة النظر في ذكرياتي الواضحة والغامضة في آن واحد. وجدت نفسي ألتقط الأجزاء والقطع، متمسكة بماضٍ مضى، لكنه واضح جداً في ذهني. تحكي هذه الشظايا قصة إرث عائلتي. عندما كنت أفرز هذه الآثار الثمينة، شعرت برغبة لا هوادة فيها لفحص الغرز في نسيج الماضي: لفحص الأدوات، والخيوط، والغرز التي شكلت المنسوجات الهائلة ذات الأهمية المحورية في تاريخي، واستكشاف كيف القماش نفسه هو مفتاح التاريخ نفسه.

يشيد هذا المشروع بإرث شخصي، وتكريماً لميراث عائلي لمصنع النسيج. إنها قصة مشروعي، رحلة عبر فترات عديدة، واستكشاف عملية النسيج، ودمج القطع المجمعة على طول الطريق، ووصف تصوري للفضاء، وجسده، وتأثيره العاطفي عليَّ. شعرتُ بالحاجة إلى تكريم ذكرى هذا المصنع. عندما قمت بدمج عملية النسيج في لوحاتي، تخيلت نفسي أسير في طريق أجدادي، وأربط بين ماضي ومستقبلي". هكذا كتبت ليلى عن ارتباط أعمالها النسيجية بذكريات طفولتها وإرثها العائلي، الذي عاملته بكثير من الحب الذي لا يعرف غوراً ولا فراقاً، مستشهدة بمقتطف من كتاب النبيّ لجبران خليل جبران: "الحب ... هو أن تُحيك الثوب بخيوط مسلولة من قلبك، كما لو كان هذا الثوب سيرتديه من تحب".

عمل تجهيزي بعنوان شجرة العائلة من خشب وصوف 2023

فضاء خارج عن المألوف

تلك كانت بداية القصة التي رافقتها ليلى بلوحات تمهيدية صغيرة، مخضّبة بالأزرق لمصنع جدها (الكائن في منطقة الحدث)، ثم ظهرت اللوحة التي تمثل شخصاً يقف أمام باب المصنع المتهالك، منتظراً وشاهداً على الزمن وهي من بين التجارب الواقعية القليلة في المعرض الذي يضم أساساً أعمالاً تجريدية وتجهيزية، ليتضح أن رسالة "البنوّة" هي نافذة على المستقبل حملتها الفنانة إلى ابنها الذي سيؤول إليه المصنع المنسي. في حوار بين الخيط واللون تخوض ليلى غمار ذاكرتها التي تمكنت من استنباطها من مُقتربات معاصرة، دون أن تغرق في السرد، كما لو أنها لا ترغب في الانفصال عن أسلوبها التجريدي في محاكاة القماش، سواء كان على الكانفاس أم النسيج أم كليهما معاً.

كل قطعة هي كيان، هي سطح عائم بلا مكان، نابع من عالم مُجرّد ومنضبط وعقلاني جداً، غير أنه يحمل الكثير من الدلالات والتأويلات والتداعيات العاطفية ربما.

برفّة عينٍ نلمح في بعضها شبح تكاوين "هوكيت كالان"، ولكن إذا أمعنّا النظر، نكتشف مزاجاً آخر وتوجُّها مختلفاً عن تقاطعات خطوط الجسد واحتمالاته التي انطلقت منها تجريديات كالان، سنجد ليلى في تصاميمها الهندسية على سجيتها وهواها وبساطتها في التعبير عن رقعة الفضاء، بعناصر من نظام الأشكال الهندسية، التي رسمتها وهي في طور التحوّل والتنوع والتقاطع والسّير والنمو المستمر.

ثمة شموس تخرج عن مداراتها وتنساب خيوطها وتتفكك لتعود خيوطاً ملونة حرّة وسائبة. كأنّ الانضباط في الرسم الهندسي لدى ليلى يوازيه خروج عن الإطار التقليدي الذي يحوط اللوحة، خروج عن المألوف أو المعترف به، ورفض لفضاء العمل الفني على أنه مغلق ونهائي، لأنه في فكر الفنانة هو فضاء مفتوح قابل للمتغيرات والاحتمالات، على نحو الفضاء الافتراضيّ أو الصورة الافتراضية للكيان المجرد.

وهو كيان لا يجد مكانه فقط معلقاً على الحائط، بل بإمكانه أن يتدلى ويتأرجح في الفراغ على طريقة منسوجات جماعة Support Surface التي أسست لدخول النسيج إلى فكر المعاصرة.

ليلى جبر جريديني الأيدي التي تنسج

بين الرّسم والنّسج

في فن النسيج يعتبر الكارتون artonc الذي يرسمه الفنان، نقطة الانطلاق لتنفيذ اللوحة النسيجية أو السجاديّة في المصنع. وفي المعرض نماذج عديدة من الكرتون موقعة باسم ليلى تعكس العلاقة بين الرسوم والقطع النسيجية التي تم تنفيذها بحذافيرها لدى مصنع "إيوان مكتبي لسجاد الكليم" في تركيا.

وهي من الجودة ما يظهر في تدرّج الألوان ودقة الخطوط والتميز في تقنيات الإنجاز، بين ملامس وحياكات متنوّعة لتكون تارة ملساء وتارة خشنة.

إذا كان بالإمكان إطلاق صفة على المعرض، فالأجدر أن نعتبره معرضاً تشكيلياً بواسطة النسيج، لأننا نعثر على فكر الرسامة مطبقاً على النسيج بأسلوب جديد. يتراءى ذلك ليس في القطع الجاهزة الصنع، بل في التّدخلات والعلاقات التي تقيمها الفنانة بين سطحين متغايرين: سطح اللوحة المرسوم بالأكريليك ويكتنفه سطح منسوج بغرز الخيوط.

ملمسٌ ناعم وآخر نافر، كأنه الحوار بين القديم والمعاصر، من الجد والأب إلى الابنة، ذلك فضلاً عن القطع التي استخدمت فيها الفنانة الشبكة التي تتجدل عليها الخيوط الصوفية على نحو شبيه بتشبيك الخيوط على النول، ولكنها منفذة كتجربة غير ناجزة على خلف اللوحة، مع الحامل الخشبي (assisCh) وموضوعها الأيدي التي تنسج.

لطالما ارتبط النسج بالأنثى ربطاً ميتولوجياً (أراكني Arachne) وخيالياً واستعارياً في الفن، غير أن ليلى جبر جريديني، ليست نسّاجة بالمعنى المهنيّ، بل هي رسامة تقوم بعمل إنشائيّ، إذ تستمر أعمالها في البحث عن إلهامات جديدة أكثر ارتباطاً بالهوية والتاريخ والموروث من مقتربها التجريدي.

وفي هذا السياق، نعثر على تآليفها المكونة من دوائر ومستطيلات وأشكال أنبوبية ذات تقاطعات ودروب تلتقي وتفترق كما الحياة، ونعثر أيضاً على أعمالها التجهيزية المكونة من بقايا مدّخرات المصنع من خيوط ملونة وأنواع مكوكات الصوف الملونة، وأدوات خشبية قديمة أخرى، أضحت "معلقات" من غصون شجرة العائلة، وهي أدوات قديمة تبدو كقطع طوطمية بسِماتها البدائية، لم يُتعبها الزمن، غير أنها تموضعت لتلعب وظائف جمالية جديدة، بعدما تحولت قطعاً فنية من نسج خيوط الذاكرة.